

وصية السيدة الزهراء وثيقة حيّة وصرخة مدوية

السيد محمود المقدس الغريفي

تُعدُّ حُطْبَتِي الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ بما تحملانه من عمق فكري وعقائدي، وبعُد تأريخي، وسجل وثائقي، خيرُ شاهد على ما حدث بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما جرى من الحزب القرشي بالانقلاب على خطِّ الرسالة، واغتصاب الخلافة الكبرى، والتمسك بزمام الحكم بكل صورة، وتحت أي ذريعة وغطاء، وتشبثهم حتى بالهواء والماء، ومحاولة إقصاء كل من يحاول إيقافهم عن مسارهم وهدفهم المنشود، وبالخصوص أهل الحقِّ الشرعي وأصحاب النصِّ الإلهي، بني هاشم رهط الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعشيرته، وبالأخص سيدهم وعمدتهم صاحب الحقِّ المنصوص عليه من السماء عليّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هذا، ولم يقفوا في ذلك إلى حدِّ معين، بل وصل بهم الأمر إلى القتل كما جرى على الصحابي الجليل مالك بن نويرة التميمي اليربوعي رضي الله عنه وعلى قومه، وما حاكوه من دسائس لاغتيال أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل ذلك، وما جرَّ بعدها من ظلم للزهراء فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغصب حقها وإرثها، وما سجله التاريخ من مآسي فضيحة على باب دارها عَلَيْهَا السَّلَامُ والاعتداء عليها، وما لحقها من خروج الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ إلى مسجد أبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلقاءها خطبتها الشهيرة أمام المهاجرين والأنصار، واحتجاجها على الحكومة القرشيّة القبلية القائمة، وإظهار



زيف دعواهم، وإبطال أكاذيبهم وحججهم الفارغة، بالدليل القرآني والحجة الشرعية والعقلية، وما تبعها من حُطْبَتِهَا الثانية مع نساء المهاجرين والأنصار، عندما عدنها في مرضها وسألَتْها عن حالها فانطلقت في خطبتها كالبحر الهائج عتاباً لهن وتوبيخاً لرجالهن...

وقد أهتم العلماء والباحثون اهتماماً بالغاً وباستحقاق بهاتين الخطبتين العظيمتين، وخصوصاً الخطبة الأولى، إذ شرحت شروحات عديدة، وعُلِّقت عليها تعليقات جمّة؛ لفهم مغزاها، وكشف مكنونها، وتفسير كلامها، وتوثيق احتجاجها ورفضها، ورسم معالم أهم مرحلة تاريخية بعد وفاة رسول الله ﷺ، وما جرى على الأمة من أحداث وتقلبات، كان نتيجتها إقصاء أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام وعزله عن حقه الطبيعي ومنصبه الإلهي بالخلافة الكبرى وإدارة شؤون الدولة الإسلامية.

ولكنها عليه السلام لم تتوان، بل واصلت مسيرتها في رحلة الاحتجاج والرفض للانقلابيين، الغاصبين، الظالمين، إلى حين وفاتها، بل وَتَقَّتْ ذلك عند آخر عهدها بالحياة، وفي وصيتها المباركة، حين أوصت أن لا يحضر جنازتها أحد من الانقلابيين، خصوصاً من الذين ظلموها وغصبوا حقها، وأن تدفن سرّاً في الليل، حتى لا يقفوا على قبرها، وأن يعفى ثرى قبرها ولا يُعرَف...

فأثارت بذلك الشكوك والتساؤلات بين الناس!؟

وأنها لماذا أوصت بذلك بنت رسول الله ﷺ!؟

وما هو هدفها وغايتها؟

هذا في أهم فقرات وصيتها المباركة.

كما إنّ في وصيتها مضامين عالية، ودروساً عظيمة، وأهدافاً سامية، في مجمل فقراتها الأخرى، فضلاً عما يستفاد من العظة والعبرة من بنت الرسالة والنبوة فاطمة الزهراء عليها السلام.



إلا أن التعرض إلى هذه الوصية المباركة، بالشرح والتعليق، والدراسة والتحقيق؛ لفهم مكنونها وأسرارها، لم يكن بالمستوى المطلوب، بل كان غالباً بصورة عابرة وباقتضابٍ مُجَلِّ، يصل إلى حدّ الإشارة فقط لكثير من فقراتها ونصوصها، وأنه لم يسלט الضوء عليها؛ لمعرفة مغزاها وكنهها، وما يستخرج من منجمها الثرّ بالتحليل والدراسة، كما سلط الضوء على خُطبتَيها الشريفتين عليه السلام، بالشرح والتحليل والتدقيق والتعليق.

ومن هنا كانت محاولتنا المتواضعة هذه، كنقطة بدء في قراءة وصية الزهراء عليها السلام، من بعض ما ملمته من كلمات وصيتها المتفرقة، وأرجو أن تتبعها خُطواتٌ أخرى من الباحثين والمهتمين بتراث هذه السيدة العظيمة، الصديقة المظلومة عليها السلام.

وقد رويت هذه الوصية المباركة بروايات مختلفة، وأوقات متفاوتة، ومضامين متنوعة، مع اختلاف ببعض ألفاظها، إلا أن المنبع والقلب واحد، وأنها تحمل فكر الزهراء عليها السلام ورسالة الإسلام، حيث أن الأصل التام ما زال محفوظاً عند أولادها الأطهار عليهم السلام مُودِعاً في مصحفها الشريف - مصحف فاطمة - كما أشارت لذلك بعض أخبارهم عليهم السلام.

- الوصية المباركة بين النص والمضمون:

الإسلام شريعة الله عز وجل في الأرض، ومنهجه في بناء الإنسان، وتقويم سلوكه المادي والروحي، في كافة أبعاده وجوانبه.

ثم وضع الأسس المثلى لهذه الشريعة الغراء في كتابه المنزل القرآن الكريم، وأجراها على لسان خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وآله فيما ورد عنه من الأحكام والسنن، حيث أنه (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدٌ



القُوَى)^(١)، في جميع مفاصل الإنسان الحياتية وتحركاته، وكل حالاته النفسية والروحية وسكناتها، إذ ترى الإسلام قد شرع أحكاماً، وسنناً، وآداباً، وسلوكيات، لمعظم نواحي الحياة.

فعلى سبيل المثال دخل الإسلام إلى مكان التخلي وشرع له أحكاماً وآداباً، وانفتح على مخدع الزوجين وسن له أعمالاً وسنناً شريفة، ورحل مع المسافر في سفره ورسم له آداباً وسلوكيات كريمة، وأعدّ لما قبل الموت وبعده أحكاماً وسنناً وآداباً رشيدة، ونحو ذلك من الأمور.

وما هذا إلا إزالة للعقبات، وتعبيداً للطرق، وتنويراً للدرب، أمام الإنسان، لكي يرتقي بالمسلمين إلى التكامل الروحي المنشود.

وكان من جملة الحقوق والسنن التي أرشد إليها الإسلام وحث عليها، الوصية قبل الوفاة؛ لضمان حق الميت وتنجز رغباته بعد الموت وتفعيلها، في ثلث تركته فقط، ويُحفظ حقّ الورثة في الثلثين.

فما جاء في القرآن الكريم في أثر الوصية قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾^(٢).

أما في السنة الشريفة، فهناك جملة من الروايات ترشد وتؤكد استحباب كتابة الوصية، منها:

ما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: الوصية حقّ، أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله فينبغي للمسلم أن يوصي^(٣).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: هي حقّ - أي الوصية - على كل مسلم^(٤).

وقال عليه السلام: ما ينبغي لامرئٍ مسلمٍ أن يبيت ليلةً إلا ووصيته تحت رأسه^(٥).

بل عدّ رسول الله ﷺ من مينة الجاهلية الموت بلا وصية، حيث قال: من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية (٦).

وقد استفاضت الأحاديث والروايات بل تواترت على أن رسول الله ﷺ قد أوصى قبل وفاته، وكان من أهم فقرات وصيته شيوعاً وانتشاراً، بين العامة والخاصة، ما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: إني أوشك أن ادعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّ اللطيف أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما (٧).

وكذلك قد أوصى الأئمة الاثنا عشر المعصومون عليهم السلام قبل وفياتهم، وقد انتشرت جُمُلُ من وصاياهم في كتب المسلمين العامة، وكان من جملة وصايا الحجج المعصومين الأطهار عليهم السلام، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا هي وصية سيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليهم السلام، حيث تعدّ وصيتها درة ناصعة من درر أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وكل كلامهم دُرٌّ، وتناثرت جُمُلُ كثيرة منها هنا وهناك، وتفرقت بين ثنايا المصادر وطيات السطور، وانتشرت مقاطع من وصيتها في كتب التاريخ والسير.

ولكن من خلال ملزمة هذه المتفرقات، وجمع المتناثرات، من بين الروايات والأخبار، التي تضمّنت أجزاء من وصيتها المباركة مع غض الطرف عن المتكرر منها، نصّاً أو مضموناً، حيث أنها رويت تارة عن صورة رقعة مكتوبة، وأخرى وردت كلاماً بالمباشرة مع عليّ أمير المؤمنين عليهم السلام، وبعضها يروي أجزاء من وصيتها، كما في بعض الروايات الواردة عن أولادها المعصومين عليهم السلام.

ونحن وإن لم نجر استقراء كلياً لجميع الروايات والأخبار التي نقلت مضامين الوصية المباركة، ولكن نرى - لا على سبيل الجزم - أن ما سنذكره يعبر عن

مضمون وصيتها المباركة في الجملة، وعرض لأهم فقراتها، على ما اشتهر منها وشاع، حيث إن في وصيتها بعضاً من مختصاتها وخصوصياتها عليها السلام، والتي تحوي بعض معارفها الخاصة، وهو ما زال مكنوناً ومحفوظاً عند أحفادها الأئمة المعصومين عليهم السلام وربما أشار أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله: وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة عليها السلام (٨).

إذ ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: ... أن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل إليها ملكاً يسلي عنها غمها ويحدثها، فشكّت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته فجعل يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً، قال: ثم قال: أما أنه ليس من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون (٩)، وغيرها من الروايات.

ومن هنا يُعدّ مصحف فاطمة من جملة موارث الأئمة عليهم السلام ومختصاتهم، ورثوه عنها عليها السلام كابراً عن كابر، حتى وصل إلى قائم آل محمد عجل الله فرجه الشريف، وفي ضمنه تمام وصية فاطمة عليها السلام، محفوظة مع جملة موارث الأنبياء والأوصياء السابقين.

على أن اغلب الظن أنّ وصيتها الكلامية المباشرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ما هي إلا تأكيد لما أوصت به في رقعتها المدونة، التي كانت مودعة عند حفيدها الإمام الباقر عليه السلام، ونقل منها بعض فقراتها؛ وذلك عملاً بهدي أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وتطبيقاً لقوله الشريف: ما ينبغي لامرئٍ مسلمٍ أن يبیت ليلة إلا ووصيته تحت رأسه (١٠). وقد وجد أمير المؤمنين علي عليه السلام رقعة فيها وصيتها تحت رأسها عليها السلام عند وفاتها.

فما صدر عنها من الوصية الكلامية عند دنو أجلها عليها السلام، تأكيداً على

وصيَّتها المكتوبة، وللإعلام على إثبات وصيَّتها استحباباً، وربما دفعا للطعن فيما كتبه في رقعتها، وربما لمزيد الاهتمام ببعض فقرات وصيَّتها أكدت عليها بالكلام المباشر؛ لإظهار شدة إنكارها وغضبها على من غصب حقَّها وأذاها، وعدم رضاها عنهم في أهم فقرات وصيَّتها المشهورة.

فجاءت هذه الفقرات دعماً وتأكيداً لموقفها، وتثبيتاً لجوابها للشيخين عندما دخلا عليها قبل وفاتها، إذ قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها؟!، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما! فأتيا علياً فكلماه، فادخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها فلم ترد عليهما!؟

فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ووددت يوم مات أبوك إني مت ولا أبقى بعده، افترنني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله، إلا إني سمعت أباك رسول الله يقول: (لا نورث، ما تركناه فهو صدقة!!).

فقال: رأيتما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟
قالا: نعم.

فقال: نصدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: (رضا فاطمة من رضي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن اسخط فاطمة فقد أسخطني).

قالا: بلى، سمعنا من رسول الله.

قالت: فإني أشهد الله وملائكته إنكما أسخطتُماني وما أرضيتُماني، ولئن

لقيت النبي لأشكونكما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه، ومن سخطك يا فاطمة.

ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهب، وهي تقول: والله لأدعونَ عليك في كل صلاة أُصَلِّيها^(١١).

وقد روى البخاري، ومُسلم في (صحيحيهما): فَوَجَدت^(١٢) فاطمة على أبي بكر في ذلك - أي في غضبها نخلتها وميراثها- فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت^(١٣).

أما ما ورد من الروايات والأخبار فلا يعدو كونه نقلاً لأجزاء من وصيتها المكتوبة المتوارثة بين أبنائها المعصومين عليهم السلام، حيث تُعدّ من جملة موارِيثهم عليهم السلام، ونقلت روائياً كبيراً عن كابر من أبناءها المعصومين عليهم السلام.

على أن الاختلاف اليسير في بعض فقرات الوصية، وتكراره، يرجع ظاهراً إلى نقل أجزاء متقطعة منها دون روايتها بصورة كاملة.

كما أن روايتها بالمعنى أحياناً يسبب اختلاف بعض الفاظها وترتيب فقراتها، كل ذلك مع بقاء وحدة المضمون عموماً.

لكنَّ العُرف الاجتماعي يركز دوماً على الأقوال المسموعة، والحوارات المباشرة، لاسيما إذا قيلت في الأوقات الحرجة، كالنطق بها قبيل الوفاة مثلاً، ومن شخصية لها ثقلها وتأثيرها العالي في المجتمع كالزهراء عليها السلام، ولها المقام الرفيع بين الناس، أكبر من الاهتمام والنظر لما هو مكتوب، أو بتتبع ما هو مدون، على أسطر الكتب والقرطاس عادة، إلا لمن يعنيه تتبع ذلك ويهتم لأمره؛ لأن هذا يحتاج إلى مزيد استقصاء وعناية، وبحث وسؤال، ولا يمكن أن يحصل هذا الأمر بسهولة لعموم الناس.

وحيث أن الوضع السياسي والاجتماعي، فضلا عن الديني يومئذ، كان ملتهباً لما حدث من الانقلاب على خط الرسالة السماوية، ولما يدفن رسول الله ﷺ بعد، وعزل الخليفة الشرعي وإقصاءه عن الحكم، في مؤتمر السقيفة القرشي، ليتحقق قوله عز وجل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤).

وما جرى بعد ذلك، من ظلم وأذى، وغضب لحقوق بضعة الرسول محمد ﷺ فاطمة الزهراء عليها السلام، التي يرضاها ويغضب لغضبها.

وما أعقب ذلك، من رد الزهراء عليها السلام في خطبتها الشهيرتين - إحداهما: في مسجد رسول الله أمام حشد المهاجرين والأنصار ورؤوس الحكم. والثانية: في دارها أمام نساء المهاجرين والأنصار عندما عدنها في مرضها عليها السلام. وهاتان الخطبتان رواهما مجموعة من الكتاب والمؤرخين من الفريقين بأسانيدهم منهم: الجوهري في كتابه (السقيفة)، وابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة)، وابن شهر آشوب في (كشف الغمة)، والطبرسي في (الإحتجاج) وغيرها من المصادر - على الحكم القائم ورئيسه، فكشفت زيفهم، وفضحت أكاذيبهم، وقارعتهم بالحجة الشرعية، والدليل القرآني، والتحليل المنطقي.

و شاءت السماء أن ترعى هذه الصرخة المدوية لإثبات الحق، وفضح الباطل، وأن تبقى تصدح على مرّ الأجيال إلى ما شاء الله تعالى.

ومن هنا، تجد أن أغلب فقرات هذه الوصية انتشاراً وشيوعاً ونقلًا، عرض ظلامتها عليها السلام وسخطها على من ظلمها، إذ لم يتسن حتى لأبواق أعدائها إخفاءها والتستر عليها، حيث روى ذلك عموم كتب المسلمين.

إضافة إلى حديث نعتها الطاهر، الذي يصور عمق عفتها وحشمتها، وشدة اهتمامها ورعايتها لأبناء رسول الله ﷺ وريحانتيه، ولديها الحسن والحسين عليهما السلام، ومزيد عنايتها وحرصها على صلة رحمها والتواصل مع أقربائها، والحفاظ على أداء أماناتها وأن توضع في محلها، ثم الاهتمام بتفريق صدقاتها وعطاياها، وغير ذلك من الفقرات الأخرى التي يستلهم منها الإنسان المسلم الدروس والعبر، فضلاً عن ذلك، ترى فيها من أدبها وفضلها وظرفها ﷺ.

وقد اخترنا ثلاث صور، نقلت وصيتها المباركة، نرى فيها الاستيعاب لأغلب فقراتها المنتشرة، والمروية عموماً، بحسب تتبعي واستقصائي.

وأرجو من الله أن يهيئ لهذه الوصية المباركة بعض الباحثين حيث يسعه الوقت وتسعفه الظروف، لكي يتوقف على جمع متفرقاتها، وتقريب شارداتها ووارداتها، وتهذيبها تدقيقاً وتحقيقاً، حيث تكون مورداً للبحث والدراسة والتحليل، لجميع نصوصها وفقراتها؛ إذ فيها عطاء جم، وعلم وأدب، وخلق وظرف. كما أنها تُعدّ من أهم الوثائق التاريخية لاستيحاء ما جرى في صدر الإسلام، التي تثير التساؤلات والشكوك، يامضاء من بنت الرسالة فاطمة الزهراء ﷺ.

وما قمنا به ما هو إلا إشارة أو خطوة نحو فكر هذه السيدة العظيمة وإحياء تراثها ﷺ.

ونسأل الله عز وجل أن يتقبله منا، وأن يجعلنا ممن ترضى عنهم سيدة نساء العالمين سلام الله عليها؛ لأن رضا الله رضاها، واسأله أن يهيئ لهذه الخطوة المتواضعة من يتبعها بخطوات أكثر وأكبر، ومن يحيط بهذه الوصية المباركة إحاطة أشمل وأوسع؛ لبيان مكنوناتها بالبحث والشرح والتعليق، تضم بين جوانبها معطيات هذه الوصية المباركة وأهدافها، وما يستحصل منها من دروس.

- الصورة الأولى:

روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه وجد عند رأسها لما توفيت عليها السلام رقعة جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أوصت: وهي تشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

يا عليّ أنا فاطمة بنت محمد، زوجني الله منك؛ لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنطني وغسلني وكفني، وصل عليّ، وادفني بالليل، ولا تُعلم أحداً، واستودعك الله، وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة (١٥).

- الصورة الثانية:

ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه أخرج سفظاً أو حقاً، وأخرج منه كتاباً فيه وصية جدته الزهراء عليها السلام، ومما جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، أوصت بجوائظها السبعة: (العواف، والدلال، والبرقة، والميثب، والحسنى، والصفافية، ومال أم إبراهيم (مشربة أم إبراهيم خ)، إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإن مضى فإلى الحسن، فإن مضى فإلى الحسين، فإن مضى فإلى الأكبر (الأكابرخ) (من ولده خ) من ولدي، (دون ولدك خ)، شهد الله على ذلك، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وكتب عليّ بن أبي طالب (١٦).

وهذه الحوائط (البساتين) كانت لرجل يهودي من أحبار بني النضير يدعى مخيرق، أسلم وقتل يوم أحد وأوصى ببساتينه السبع إلى النبي ﷺ فأوقفها النبي ﷺ سنة سبع من الهجرة على خصوص فاطمة ؓ، وكان يأخذ منها لأضيافه وحوائجها (١٧).

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر ؓ أيضاً قال: إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كتبت هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتبت فاطمة بنت محمد ﷺ في مالها، إن حدث بها حادث، تصدقت بثمانين أوقية، تنفق عنها من ثمارها التي لها، كل عام في رجب، بعد نفقة السقي ونفقة العمل، وأنها أنفقت أثمارها العام، وأثمارها القمح عاماً قابلاً في أوان غلتها، وأنها أمرت لنساء محمد أبيها ﷺ خمساً وأربعين أوقية، وأمرت لفقراء بني هاشم وبني عبد المطلب (١٨) بخمسين أوقية، وكتبت في أصل مالها في المدينة، أن علياً ؓ سألها أن توليه مالها، فيجمع مالها إلى مال رسول الله ﷺ فلا تفرق، ويليه مادام حياً، فإذا حدث به حادث دفعه إلى ابني الحسن والحسين فليليائته، وإني دفعت إلى علي بن أبي طالب علي إني احلته فيه، فيدفع مالي، ومال محمد ﷺ، ولا يفرق منه شيئاً، يقضي عني من أثمار المال ما أمرت به، وما تصدقت به، فإذا قضى الله صدقتها وما أمرت به، فالأمر بيد الله تعالى، وييد علي ؓ، يتصدق وينفق حيث شاء، لا حرج عليه، فإذا حدث به حادث، دفعه إلى ابني الحسن والحسين، المال جميعاً، مالي ومال محمد ﷺ، ينفقان ويتصدقان حيث شاء، ولا حرج عليهما.

وإن لابنة جندب - يعني بنت أبي ذر الغفاري - التابوت الأصغر (الأصفر)،

ويعطيها في المال ما كان، ونعليّ الأدميين، والنمط، والحبّ والسريير، والزربية، والقطيفتين، وإن حدث بأحد ممن أوصيت له قبل أن يدفع إليه، فإنه ينفق عنه في الفقراء والمساكين، وأن الأستار لا يستر بها امرأة إلا إحدى ابنتي، غير أن عليّاً يستتر بهن إن شاء ما لم ينكح.

وإن هذا ما كتبت فاطمة عليها السلام في مالها، وقضت فيه، والله شهيد، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وعليّ بن أبي طالب كتبها، وليس على عليّ حرج فيما فعل من معروف^(١٩).

هذا وقد ورد في بعض الأخبار أنها عليها السلام أوصت لأزواج النبي صلى الله عليه وآله لكل واحدة منهن باثنتي عشرة أوقية، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لأمامة- بنت أبي العاص بن الربيع- بنت أختها زينب بشيء^(٢٠).

والأوقية تُعادل أربعين درهماً، أي ما يقارب (١٨٠٠) درهم، ومات رسول الله صلى الله عليه وآله عن تسع نساء، فيكون نصيب كل واحدة (٢٠٠) درهم مما أوصت لهم عليها السلام. وفي رواية: أنها عليها السلام تصدقت بمالها على بني هاشم وبني عبد المطلب^(٢١).

وقد روي عن ولدها الصادق جعفر بن محمد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرثه فقد ختم عمله بمعصيته^(٢٢).

- الصورة الثالثة:

فيما روي أنها لما نعت إليها نفسها دعت أم ايمن وأسماء بنت عميس، ووجهت خلف عليّ عليه السلام فأحضرتة، فقالت عليها السلام: يا ابن عم أنه قد نعت إليّ نفسي، وأني لا أرى ما بي إلا إني لاحقّة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي؟

قال لها عليّ عليه السلام: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثم قالت: يا ابن عم ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال عليه السلام: معاذ الله أنت أعلم، وأبر وأتقى، وأكرم وأشد خوفاً من الله، من أن أوبخك بمخالفتي، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك، إلا أنه أمر لا بد منه، والله لقد جددت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أفجعها وآلمها، وأمضها، وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ عليّ رأسها وضّمها إلى صدره، ثم قال: أوصيني بما شئت فإنك تجدينني وفياً، أمضي كل ما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري!!

ثم قالت: جزاك الله عني خيراً الجزاء يا ابن عم، أوصيك:

أولاً: أن تتزوج بعدي بإبنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لا بد لهم من النساء - فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام أربعة ليس إلى فراقهن سبيل؟!، وعدّ منهن أمامة، وقال: أوصت بها فاطمة عليها السلام.

ثم قالت: أوصيك يا ابن عم أن تتخذ لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال: صفيه لي، فوصفته فاتخذها لها.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، (وأخذوا حقّي، فإنهم عدوي، وعدو رسول الله صلى الله عليه وآله)، ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم، (ولا من أتباعهم خ)، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار، ثم توفيت عليها السلام (٢٣).

وفي رواية: أوصته أن يغسلها في قميصها، ولا يكشفه عنها؛ لأنها كانت قد

اغتسلت قبل وفاتها بيسير، وتنظفت، ولبست ثيابها الجدد، وأن تدفن ليلاً، ويعفى قبرها(٢٤).

هذا ما توفر من ظاهر وصيتها عليها السلام، وقد تناثر هنا وهناك، وما زال مكنونها مودع عند ولدها قائم آل محمد الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف مع جملة مواريث الأنبياء والأوصياء.

* هوامش البحث *

- (١) سورة النجم ٣، ٤، ٥ .
- (٢) سورة المائدة ١٠٦ .
- (٣) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية ..ح ١.
- (٤) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية ..ح ٦.
- (٥) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية ..ح ٧.
- (٦) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية ..ح ٨.
- (٧) كمال الدين للصدوق ص ٢٣٥ ، مسند الإمام احمد ١٧/٣ ، كنز العمال للمتقي الهندي ١/١٨٦ ، ذخائر العقبي للمحب الطبري ص ١٦ .
- (٨) الكافي - الشيخ الكليني ١/٢٤١ .
- (٩) بحار الأنوار للمجلسي ٣/٧٩ .
- (١٠) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية ..ح ٨.
- (١١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/١٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤/٨٧ ، كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ٢٥٤ .
- (١٢) من الوجد أي الغضب .

- (١٣) صحيح البخاري ٢٠٩/٤ ، ٨٣/٥ ، صحيح مسلم ١٥٤/٥ .
- (١٤) سورة آل عمران ١٤٤ .
- (١٥) بحار الأنوار ٢٧٨/٣٤ ، العوالم للبحراني ٢٧٨/٦ .
- (١٦) الكافي ٤٨/٧ ، الأصول الستة عشر لعدة باحثين ص ٢٣ ، بحار الأنوار ٢٣٥/٤٣ .
- (١٧) تاريخ المدينة للسهمودي ٢٦٣/٢ .
- (١٨) الظاهر: بني المطلب وهو عم عبد المطلب وأخو هاشم لا عبد المطلب كما في الرواية .
- (١٩) مستدرک وسائل الشيعة للشيخ النوري ٥٤/١٤ .
- (٢٠) دلائل الإمامة للطبري ص ١٣٠ .
- (٢١) وسائل الشيعة كتاب الوقف والصدقات باب ١/ح ٦ . والظاهر: بني المطلب وهو عم عبد المطلب وأخو هاشم لا عبد المطلب كما في الرواية .
- (٢٢) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب ٤/ح ٣ .
- (٢٣) روضة الواعظين للنيسابوري ص ١٥١ .
- (٢٤) أمالي المفيد ص ٢٨١ ، أمالي الطوسي ١٠٧/١ .

* المصادر والمراجع *

١. القرآن الكريم كلام رب العالمين.
٢. الأصول الستة عشر - عدة محدثين، تحقيق ضياء الدين المحمودي بمساعدة نعمة الله الجليلي، مهدي غلام علي، الطبعة الأولى/ ١٤٢٣ - ١٣٨١ش، المطبعة دار الحديث، نشر دار الحديث للطباعة والنشر.
٣. الأمالي - الشيخ الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى/ ١٤١٤هـ، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.
٤. الأمالي - الشيخ المفيد، تحقيق حسين الأستاذ ولي، علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية/ ١٤١٤ -

- ١٩٩٣م، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٥. الإمامة والسياسة - ابن قتيبة، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى/ ١٤١٣ - ١٣٧١ ش، المطبعة امير- قم، انتشارات شريف الرضي- قم المشرفة.
٦. بحار الأنوار - العلامة المجلسي، تحقيق محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية المصححة/ ١٤٠٣ - ١٩٨٣م، نشر مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
٧. تاريخ المدينة- ابن شبة النميري، تحقيق فهمي محمد شلتوت/ ١٤١٠ - ١٣٦٨ ش، المطبعة القدس - قم، نشر دار الفكر - قم - إيران.
٨. دلائل الإمامة- ابن جرير الطبري الشيعي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى/ ١٤١٣هـ، نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.
٩. ذخائر العقبي - محب الدين الطبري/ ١٣٥٦هـ، نشر مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي- القاهرة.
١٠. روضة الواعظين- الفتال النيسابوري، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي- قم .
١١. شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى الباي الحلبي وشركاه.
١٢. صحيح البخاري- البخاري/ ١٤٠١ - ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٣. صحيح مسلم- مسلم النيسابوري، دار الفكر - بيروت - لبنان.
١٤. العوالم - الشيخ عبد الله البحراني، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، الطبعة الأولى المحققة/ ١٤٠٧ - ١٣٦٥ ش، المطبعة أمير - قم، نشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه بالحوزة العلمية - قم المقدسة.
١٥. الكافي - الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة/ ١٣٦٣ ش، المطبعة حيدري، نشر دار الكتب الإسلامية - طهران.
١٦. كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني، الطبعة الأولى/ ١٤٢٢ - ١٣٨٠ش، المطبعة نكارش، نشر دليل ما- قم المشرفة.
١٧. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، محرم الحرام ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٨. كنز العمال- المتقي الهندي، ضبط وتفسير الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة الشيخ

- صفوة السقا/ ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
١٩. مستدرك الوسائل - المحدث النوري، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى المحققة/ ١٤٠٨ - ١٩٨٧م، نشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - بيروت - لبنان.
٢٠. مسند احمد- أحمد ابن حنبل، دار صادر- بيروت - لبنان .
٢١. وسائل الشيعة- الحر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية/ ١٤١٤هـ، المطبعة مهر - قم، نشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.

